الألفاظُ الدَّالةُ على حِرفة النسج في القرآن الكريم دراسة دلاليّة

Words on the craft of weaving in the Holy Quran.. A semantic study.

م.د. غازي مطشر حمزه البدريّ
المديرية العامة لتربية واسط
Dr. Ghazi Mutashar Hamza Al Badri
Educational General Directorate of Wasit

الكلمات المفتاحيّة :المنظور القرآنيّ / التصوير الفنيّ/ القرآن الكريم/ الحبك

ملخص البحث

لمّا كانَ اللباس أهم الحاجات للإنسان بعد الطعام، كانت حِرفة النسج، أو صناعة الملابس والتفنن بها من أوسع الحِرف؛ ولهذا نرى القرآن الكريم يهتم بها اهتمامًا كبيرًا، إضافة إلى هذا الاهتمام فإنّ القرآن الكريم اهتمّ بجانب آخر وهو أن يستوحي من الألفاظ الدالّة عليها معاني بديعة، فذكر مواردها، ومصنوعاتها، كما ذكر عدّة أنواع من مصنوعات النسج، ممّا يقوم دليلًا قويًّا على أهمية هذه الحِرفة، أو الصناعة من المنظور القرآنيّ.

من أبرز النتائج التي توصّلتْ إليها الدراسة هي :

١- إنّ القرآن الكريم كما يضمُّ ألفاظًا عقديّة وشرعيّة، وسلوكيّة كذلك يضمُّ ألفاظًا دنيويّة ذات سمات حضاريّة، وثقافيّة، وعلميّة تؤكد على أنّ الإسلام هو عبارة عن عقائد، وسلوك، وثقافة، وحضارة، وتطوّر، فهو دين ودنيا يحرص على سعادة البشريّة جمعاء.

٢- إنّ القرآن الكريم يستقي كثيرًا من المعاني من واقع المجتمع الإنسانيّ، ويعتني بأساليب الحضارة ورقيّها معتمدًا على تقديم الفائدة لعامّة البشر، ومن هذا المنطلق احتوى على مجموعة من الألفاظ التي تدلُّ على شتى الحِرف التي تخدم المجتمع البشريّ، ومنها حِرفة النسج.

٣- وردت حِرفة» النسج» في القرآن الكريم في سياقات عديدة من الموقف الكلاميّ بدلالات مباشرة، وغير مباشرة ترشح منها صور فنيّة بديعة تعجب السامع، وتبهر الناظر .

٤- إنّ عرض القرآن الكريم للحِرف ومنها حِرفة» النسج» جاء من منطلقين، وهي التي تشكّل ظاهرتين من الاستعمال، أولهما: توظيفها لنفسها. وثانيها: توظيفها لخدمة التصوير الفنيّ لمواقف بيانيّة بديعة تترك الإنسان عاجزًا ومندهشًا أمامها، كما نلاحظ في استعارة نقض المرأة لغزلها لنقض الأيمان، وغير ذلك من تصاوير ذات الحركة والجمال.

٥- وبما أنّ القرآن الكريم صورة تعكس المجتمع العربيّ فقد أكّد الاستعمال القرآنيّ لألفاظ حِرفة النسج أنّ المجتمع العربيّ القديم لم يكن خاليًا منها، وإن كانت النسبة ضئيلة، وحينما جاء القرآن الكريم أحدث فيهم انقلابًا ملموسًا فنهضوا بها.

Abstract

Because the dress was the most important needs of man after food، was the craft of weaving، or the manufacture of clothing and the composition of the most extensive character; and therefore we see the Holy Quran cares about the great interest، in addition to this interest، the Holy Quran cares about another side is inspired by the words that have wonderful meanings ، Mentioned its resources and products، as mentioned in several types of textile products، which is a strong evidence of the importance of this craft، or industry from the perspective of the Koran.

Some of the main findings of the study are:

1 - The Holy Quran also contains the Doctrinal، legitimacy، and behavioral words، as well as includes worldly terms with cultural، cultural and scientific characteristics that emphasize that Islam is a doctrine، behavior، culture، civilization، and development، it is a religion and a world that cares for the happiness of all mankind.

2 - The Holy Quran draws many meanings from the reality of human society، and takes care of the methods of civilization and its improvement based on the benefit to the general public، and from this perspective contains a set of words that indicate the various trades that serve the human society، including weaving.

3 - The “weaving” craft in the Holy Quran in many contexts of the verbal position with direct and indirect connotations of which excerpts of exquisite artistic images excite the hearer، and dazzles the beholder.

4 - The presentation of the Holy Quran to the crafts، including the craft “weaving” came from two points، which constitute two phenomena of use، the first: employ for itself. And secondly: the use of the service of technical photography of the wonderful graphic attitudes leave the human helpless and dazzling in front of them، as we observe in the metaphor of women’s denial of spinning to break faith، and other images of movement and beauty.

5 - Since the Holy Quran image reflects the Arab society has confirmed the use of Quranic words weaving craft that the old Arab society was not empty، although the percentage is small، and when the Holy Quran، which brought them a concrete coup and raised with it.

المقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين وآله وصحبه المنتجبين ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين أمّا بعد:

لمّا كان اللباس أهم الحاجات للإنسان بعد الطعام، كانت حِرفة النسج، أو صناعة الملابس والتفنّن بها من أوسع الحِرف؛ ولهذا نرى القرآن الكريم يهتمّ بها اهتمامًا كبيرًا، إضافة إلى هذا الاهتمام فإنّ القرآن الكريم اهتمّ بجانب آخر وهو أن يستوحي من الألفاظ الدالّة عليها معاني بديعة، فذكر مواردها، ومصنوعاتها، كما ذكر عدّة أنواع من مصنوعات النسج، ممّا يقوم دليلًا قويًّا على أهمية هذه الحِرفة، أو الصناعة من المنظور القرآنيّ.

ونظرًا لأهمية هذه الحِرفة، أو الصناعة في حياة المسلمين؛ لذا نراهم يهتمون بها، وقد ذكرت مصادر التاريخ أنّ صناعة النسج كانت عامّة في البلاد العربيّة والإسلاميّة، ولم يقتصر اهتمام العرب والمسلمين على تشجيعها، وإنّما أنشأوا مصانع لها، وحصلوا على مركز القيادة فيها، وسيطروا على تجارة الحرير خاصّة، وكان لليمن قصب السبق والفضل على بلاد العرب والمسلمين في تقدّم هذه الحِرفة، أو الصناعة [١].

ولم يختلف الاهتمام بهذه الحِرفة، أو الصناعة في العصر الإسلاميّ؛ لكونها من ضروريات الحياة؛ ولهذا نجد نصوصًا حديثيّة تؤكد على حِرفة أو صناعة النسج، ومصنوعاتها، ممّا يستنتج بكل الوضوح مدى اهتمام الإسلام والمسلمين بالنسج، ومدى الاحتياج إليها في أي مجتمع كان، وخصوصًا في المجتمع الإسلاميّ الذي ينماز بالاستقلال والتقدّم.

فقد رُوي أنّ امرأةً جاءت إلى رسول الله» صلّى الله عليه وآله وسلّم» ببردةٍ، وقالت: يا رسول الله! إنّي نسجتُ هذي بيدي لأكسوكها. فأخذها رسول الله « صلّى الله عليه وآله وسلّم» محتاجًا إليها. فخرج علينا فيها وإنّها لإزاره. فجاء فلان بن فلان» رجل سمّاه يومئذ» فقال: يا رسول الله! ما أحسن هذه البردة! اكسنيها. قال:(نعم). فلمّا دخل طواها وأرسل بها إليه. فقال له القوم: والله ما أحسنت. كسيها النبيّ» صلّى الله عليه وآله وسلّم» محتاجًا إليها، ثمّ سألته إياها، وقد علمت أنّه لا يردُّ سائلًا. فقال: إنّي والله! ما سألتُه لألبسها، ولكن سألتُه إياها لتكون كفني. فقال: سهل: فكانت كفنه يوم مات [٢].

فالحديث يدل على وجود حِرفة، أو صناعة النسج في العهد النبويّ الشريف، وعلى أنّ النساء هنّ مَن يقمن بها.

هذا ونرى من أصحاب النبيّ « صلّى الله عليه وآله وسلّم» مَن يتّخذ النسج مهنة لكسب قوته، كما رُوي عن الصحابي الجليل سيدنا سلمان المحمديّ» رضي الله عنه» أنّه إذا خرج عطاؤه تصدّق به، وأنّه ينسج الخوص، ويأكل من كسب يده [٣].

هكذا حافظ المجتمع الإسلاميّ الأوّل على حِرفة، أو صناعة النسج التي تُعدُّ من أشرف المهن؛ لأنّها تكسو العُراة وتُلبِي ضرورة الإنسان المُلِحَّة التي لا بدَّ منها، ولهذا لا ينبغي لأحد أن يُحَقِّرَ هذه الحِرفة، أو الصناعة وأصحابها ويُقَلِّل من شأنها.

التمهيد

النسج في اللغة: تدلّ مادة» نسج» في اللغة على وَصلِ شيء بشيءٍ آخر. قال أحمد بن فارس:» النون والسين والجيم أصلٌ واحدٌ يدلُّ على وَصلِ شيء بشيءٍ في أدنى عرض، وَنَسَجَ الثَّوبَ يَنْسِجُه، وضَرَبَت الرِّيحُ الماء فانتسجت له الطريق»[٤].

أمّا ابن منظور فجعل أصل النسج ضَمّ الشيء إلى الشيء، ومعى الضَّمُّ والوَصل متقارب، فهو يقول:» النسج: ضمُّ الشيء إلى الشيء، هذا هو الأصل. نَسَجَهُ يَنْسِجَهُ نَسجًا فانتسجَ، ونسجت الرِّيحُ الترابَ تَنسِجَهُ نسجًا: سحبتْ بعضَه إلى بعضٍ»[٥].

وهذا المعنى ملاحظ في النسج المعروف، ونَسَجَ الحائِكُ الثَّوبَ يَنسِجُهُ نَسجًا من ذلك؛ لأنّ ضمَّ السَّدَى إلى اللُّحمَة، وهوالنَّسَّاج، وحرفته: النِّساجة[٦].

واستُعملت هذه الكلمة للدلالة على معنى قريب من هذا المعنى، نحو قولهم للدرَّاع: نسَّجاً، ولِمَن يقرض الشعر: نسَّاجًا، وقولهم للناقة التي يضطرب حملها عليها: نَسُوج. وكذلك اشتُقَّ مِنسج الفرس؛ لأنّه يتحرَّك أبدًا. والمِنسَج: كاثِبة الفَرَس[٧].

ويمكننا أن نستنتج من الدلالة اللغويّة لكلمة» النسج» مفهومها الاصطلاحيّ العامّ، وهو عبارة عن تناول الخيوط المصنوعة من الصوف، أو القطن، أو الألياف وغيرها لصناعة الأقمشة بمختلف أنواعها، وتتمُّ عملية النسج بِضَمِّ السَّدَى إلى اللُّحْمَة، والسَّدَى: هي خُيوط نسيج الثَّوبِ التي تُمَدُّ طولًا، وهو خلاف اللُّحمَة التي تمتدُّ عرضًا.

بين الحياكة والنسج

لم يُفَرِّق اللغويّون بين الحياكة والنسج، بل أطلقوا كلّ واحدةٍ من الكلمتين على الأُخرى. قال أحمد بن فارس:» الحاء والواو والكاف، ضَمُّ الشيء إلى الشيء. ومن ذلك حَوْك الثَّوْبِ والشِّعر»[٨].

وقال ابن منظور:» حيك: حاكَ الثَّوبَ يحيكُ حيكًا وحياكةً: نسجَهُ، والحياكةُ: حرفته...، الحائِكُ يحوكُ الثَّوبَ وجمعُ الحائِك حوكةٌ والحَيْك: النسج»[٩].

ومن طريق هذه المدلولات اللغويّة يتضح لنا أنّ الحياكة والنسج كلمتان مترادفتان، لا فرق بينهما، كما رأينا عند ابن منظور أنّ الحياكة (الحوك) والنسج كلاهما بمعنى ضَمّ الشيء إلى الشيء، والحياكة هو النسج إلّا أنّه في بعض اللهجات العربيّة تطلق الحياكة على الخياطة، كما نرى عند المصريّين الذين يطلقون الحياكة على الخياطة، وهو خلاف لما اصطلح عليه اللغويّون.

فالحياكة هي عبارة عن استعمال الخيوط أو الألياف مع بعضها بطرائق مختلفة لصناعة الأقمشة والأغطية والسِّجاد والبسط المختلفة.

المبحث الأوّل:الدَّلالات الحقيقيّة لألفاظ النسج في القرآن الكريم

في التمهيد وقفنا على المعنى اللغويّ لكلمة» النسج»، وتعرَّفنا على طبيعة هذه الصنعة من طريق المفهوم الاصطلاحيّ.

أمّا» النسج» في القرآن الكريم فلم ترد فيه هذه اللفظة، ولا من مشتقاتها حسبما اطلعت عليه، ولكن وردت ألفاظ تدلُّ عليها، وهي على قسمين: القسم الأوّل: ألفاظ استعملها القرآن الكريم في معانيها الحقيقيّة، وأُخرى لم يستعملها في معانيها الحقيقيّة، وإنّما استعار منها معاني أُخرى، وهي التي سوف أدرسُها في المبحث الثاني.

وإليك الألفاظ التي وردت في القرآن الكريم التي تدلُّ على لفظة» النسج» في معانيها الحقيقيّة، وهي: فرش، ودفء، وأثاث.

أوّلًا: دراسة لفظة»الفَرْش» في ضوء القرآن الكريم

معنى الفَرْش في اللغة: ذكر اللغويّون للفظة» الفَرْش» عدّة معانٍ، من أشهرها: بَسْط الثِّياب، يقول الراغب الأصبهانيّ:» الفَرْشُ: بَسْطُ الثِّياب، ويقال للمفروش: فَرْشٌ، وفِرَاشٌ... والفِراش جمعُه: فُرُش»[١٠].

وهذا المعنى تناوله ابن منظور أيضًا بقوله:» فَرَشَ الشيءَ يَفْرِشُه فَرْشًا، وَفَرَشَهُ فانْفَرَش، وافْتَرَشَهُ بَسَطَهُ، وافْتَرَشَ فلان تُرابًا، أو ثوبًا تحته»[١١].

ومن معانيها: الزرع، وصغار الإبل، وكبارها، وقد يطلق على ما يفرش من الإبل للذبح، وقيل: الفَرشُ من النِّعَم ما لا يَصْلح إلّا للذبح، وغير ذلك[١٢].

قال الزمخشريّ:» فرَّشَ الزرعُ: انبسط. يقال: فرَّخَ الزرع وفرَّشَ. وما الأرض إلّا فرش من الشجر وهو الصِّغار، وإلّا فرش من الإبل»[١٣].

«الفَرْش» في القرآن الكريم:

وردت كلمة» الفَرْش» في القرآن الكريم بهذه الصيغة مرّةً واحدة في سورة الأنعام، حيث ذكرها الله تعالى في جملة من النعم التي أنعم بها على عباده، وأراد بها صغار الإبل أو ما يفرش للذبح؛ ليتذكروا هذه النعمة فيشكروه ولا يكفروا به[١٤] في قوله تعالى: ﴿ أُ۬لَآ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾]الأنعام:١٤٢[، وقد وردت هذه الكلمة بصيغة الجمع في موضعين من القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿ أُ۬لَآ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾[الرحمن:٥٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ (٣٤) إِنَّآ أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَآءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴾[الواقعة:٣٤-٣٦] أراد بالفُرُش المهاد المهيأ للاضطجاع.

وقد وردت كلمة» الفرش» بصيغة الفعل في قوله تعالى:﴿ أَلَّا وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴾ [الذاريات: ٤٨]، حيث عبّر بها البارئ تعالى في هذه الآية عمّا يُبسط.

كلمةالفَرْش في القرآن الكريم بمعنى المنسوج:

نقل الطبريّ عن ابن زيد قوله: إنّ» الحمولة» ما تركبون. و» الفرش»: ما تأكلون وتحلبون، شاة لا تحمل، تأكلون لحمها، وتتّخذون من أصوافها لحافًا، وفرشًا [١٥].

وذُكرت في الكلمتين أقوال أخرى، منها ما نُقل عن ابن عباس ومجاهد: إنّ الحمولة: ما حُمل عليه من كبار الإبل ومسانّها، والفَرش: صغارها التي لا يحمل عليها لصغرها [١٦]». وإنّما قيل: للصغار: فرش، لأمرين:

أحدهما: لاستواء أسنانها في الصغر والانحطاط، كاستواء ما يفترش.

والثاني: من الفرش، وهي الأرض المستوية التي يتوطؤها الناس » [١٧]..

أمّا الزمخشريّ فتابع الطبريّ في أنّ المراد بالفَرش هو ما يُنسج من الوبر، والصوف، والشَّعر [١٨].

وقد ذكر القرطبيّ جملة من الأقوال في الحمولة، والفَرش، ثمّ نقل قولًا للنحّاس ذهب فيه إلى أنّ الحمولة تعني المسخّرة المُذلّلة للحمل، والفرش ما خلقه الله تعالى من الجلود والأصواف ممّا يُجلس ويتمهّد [١٩].

فالمعنى الذي رواه الطبريّ عن ابن زيد، وقرَّره الزمخشريّ، ونقله القرطبيّ عن النحّاس هو محطّ نظرنا في هذه الدراسة؛ إذ به تصبح كلمة» الفَرْش» من الألفاظ الدالّة على صناعة النسج التي ندرسها في ضوء القرآن الكريم.

فالقرآن الكريم في هذه الآية صريح في ذكر صناعة النسج، إذا أُريد بالفَرْش ما نُسج من أصواف الأنعام وأوبارها، وأشعارها. ولفظ» الفَرْش» يحتمل جميع هذه المعاني، كما أشار إلى ذلك الطاهر بن عاشور بعد أنّ ذكر دلالات هذه الكلمة المختلفة، ثمّ ساق آيتين في تأييد هذا المعنى، وأكَّد أنّ لفظ:» فَرْشًا» صالح لهذه المعاني كلّها، ومحامله كلّها مناسب للمقام، فينبغي أن تكون مقصودة من الآية، وكأنّ لفظ» الفَرْش» لا يوازنه غيره في جمع هذه المعاني، وهذا من إعجاز القرآن من جانب فصاحته، فالحمولة الإبل خاصّة، والفَرْش يكون من الإبل والبقر والغنم على اختلاف معاني اسم الفَرْش الصالحة لكلّ نوع مع ضميمته إلى كلمة» مِن» الصالحة للابتداء [٢٠].

ونظرًا إلى هذا التفسير المعقول يمكن القول: إنّ القرآن الكريم يهدف بهذه اللفظة الواحدة إلى الرسالات العديد على سبيل الإيجاز، الرسالات الإسلاميّة الخالدة، التي تُفيد نوع البشر، إذا استفاد بما خلقه الله تعالى، وشكر له.

فمن طريق العرض الموجز لدلالات كلمة» الفَرْش» اتّضح لنا أنّها من الكلمات الدالّة على حِرفة النسج، وقد تكون دالّة على حِرفة النِدافة إذا أُريد بها ما يُندف من أصواف الغنم، وأوبار الإبل، وأشعار الماعز التي تُصنع منها الألبسة.

وفي جميع الأحوال توحي كلمة» الفَرْش» من طريق دلالتها إلى حِرفة يدويّة شعبيّة مهمة تُلبي حاجات الناس الأساسيّة، ومن بديع الذكر القرآنيّ أنّه يعرض هذه اللفظة، ومن طريقها حِرفة النسج، أو حرفة النِدافة في سياق الاستدلال على وجود الله ووحدانيته.

ويُستفاد إلى جانب هذا أنّ القرآن الكريم يُشير إلى حضارته الرائعة التي تقوم أساسًا على تقديم الفوائد لعامّة البشر، فإنّ المنسوجات الحيوانيّة يستفيد منها الجميع دون امتياز، ويستفيد الإنسان أيضًا من لحومها وجلودها، وكلّ هذه الفوائد يقدِّمها القرآن الكريم حضارة إسلاميّةً تقوم دليلًا واضحًا على وجود الخالق.

ثانيًا: دراسة لفظة» الدفء» في ضوء القرآن الكريم

معنى الدفء في اللغة: الدِّفء خلاف البرد. قال الجوهريّ:» الدِّفء: السخونة، والاسم: الدِّفء بالكسر، وهو الشيء الذي يدفئك، والجمع: الأدفاء » [٢١].

ويُقال: دفئَ من البرد دَفْأً، ودَفَاءةً، وتدفَّأَ وادَّفأ، واستدفأ، ودَفُؤَ يومنا، ودفؤت ليلتنا، وأدفَأه من البرد، ومكان دفيءٌ، وما عليه دِفءٌ، أي: ثوب يدفئه، ورجل دفآن، وامرأة دفأى. تقول: اقْعُدْ في دِفءِ هذا الحائِط. أي: كِنِّه، ورجلٌ دَفِئٌ على فَعِلٍ إذا لَبِس ما يُدْفِئه، والدِّفَاءُ ما اسْتُدْفِئَ بِهِ [٢٢].

«الدِّفء» في القرآن الكريم

لم ترد هذه اللفظة في القرآن الكريم إلّا مرّةً واحدة في سورة النحل، حينما ذكَّر البارئ تعالى عباده أنّه خلق لهم الأنعام؛ ليأكلوا لحومها، ويشربوا ألبانها، ويركبوا ظهورها، ويحملوا عليها أمتعتهم، ويلبسوا ما يُنسج من أصوافها، وأوبارها، وأشعارها، من ألبسة يكسون بها عُريهم ويتدفأون بها [٢٣]، حيث قال جلّ وعلا: ﴿ وَٱلْأَنْعَامَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾[النحل:٥].

فالدِّفء في الآية الكريمة ما يستدفأ به مِمّا يعمل من أوبارها وأصوافها وأشعارها، فيدخل فيه الأكسية واللحف والملبوسات وغيرها، ولم يقل:» ولكم فيها ما يكنكم من البرد»؛ لأنَّ ما ستر من الحرّ ستر من البرد [٢٤].

« الدِّفء» تعني اللباس المنسوج

نقل الطبريّ عن مجاهد، أنّ الدِّفء: لباس يُنسج. وعن ابن عباس» رضي الله عنهما»، أنّ الدِّفء: الثياب. وعن ابن زيد أنّه قال: دفء اللحف التي جعلها الله منها، وهو كلّ ما يلتحف به الإنسان

للدفء، من عباءة، وكساء، ونحوهما، ورُوي عن قتادة أنّ الدِّفء: لباس، ومنفعة، وبلغة [٢٥].

وقال الزمخشريّ:» الدِّفء: اسم ما يدفأ به، كما أنّ الملءَ اسم ما يملأ به، وهو الدفاء من لباس معمول من صوف، أو وبر، أو شَعَر» [٢٦].

وقال القرطبيّ:» الدِّفء: السّخانة، وهو ما استدفئ به من أصوافها، وأوبارها، وأشعارها، ملابس، ولحف، وقطف» [٢٧].

وعند الطاهر بن عاشور:» الدِّفء بكسر الدَّال اسم لما يتدفَّأ به كالمِلْء، والحِمْل. وهو الثياب المنسوجة من أوبار الأنعام، وأصوافها، وأشعارها تتّخذ منها الخيام، والملابس. فلمّا كانت تلك مادة النسج كأنّه مظروف في الأنعام» [٢٨].

ويرى الشّنقيطيّ أنّ» المراد بالدِّف على أظهر القولين: إنّه اسم لما يدفأ به، وهو الدفاء من اللباس المصنوع من أصواف الأنعام، وأوبارها، وأشعارها. يدلُّ على هذا قوله تعالى:﴿ أُثَٰثٗا وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ ۙ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَا أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ﴾[النحل:٨٠] »[٢٩].

ومن طريق أقوال المفسرين التي سقناها يتبيّن لنا أنّ المقصود بالدِّفء هو الشيء المنسوج، سواء أكان في صورة الثياب، أم اللحف أم العبي، أم الأكسية، أم غيرها؛ ولأهميته الدِّفء أفرد القرآن الكريم ذكره إلى جانب ذكر المنافع. قال أبو حيّان:» أفرد منفعة الأكل بالذكر، كما أفرد منفعة الدِّفء؛ لأنّهما من أعظم المنافع »[٣٠]، « وخصَّ الدِّفء بالذكر من بين عموم المنافع للعناية به» [٣١].

ومن هنا يمكن أنّ نعدَّ كلمة» الدِّفء» من الألفاظ الدالّة على النسج ، وقد تكون من الألفاظ الدالّة على النِدافة، إذا أُريد بها ما يُندف من أصواف الغنم، وأوبار الإبل، وأشعار الماعز.

والحقّ أنّ هذه الكلمة جامعة لمعاني كثيرة.

ثالثًا: دراسة لفظة»الأثاث» في ضوء القرآن الكريم

معنى الأثاث في اللغة: الأثاث: متاع البيت الكثير، وأصله من أثَّ أي: كثر، وتكاثف. وقيل للمال كلّه إذا كثر: أثاث. ولا واحد له كالمتاع [٣٢].

والأثاثُ، والأثاثةُ، والأثوثُ شيء واحد تعني: الكثرة والعِظَمُ من كلِّ شيء، ويقال: أثَّ النباتُ يَئِثُّ أثاثةً، أي: كَثُر، والنفَّ، وهو أثيثٌ، ويوصف به الشّعَر الكثير [٣٣].

ومن دلالات الأثاث: المتاع، أي ما كان من لِبَاسٍ، أو حَشْوٍ لفِرَاشٍ، أو دِثَارٍ، واشتقه ابن دريد من الشيء المُؤثَّث، أي: المُوَثَّر [٣٤].

والمعنى الأخير هو موضع اهتمامنا في هذا المقام، ولا يُستبعد ذلك؛ إذ إنّ الأثاث في اللغة تعني الكثرة، والكثرة ملحوظة في ما يُنسج من أصواف الغنم، وأوبار الإبل، وأشعار الماعز؛ لأنّها لا تكون قليلة، وإنّما تكون كثيرة، حيث يصعب إحصاؤها، فمنهنا

ظهرت المناسبة بين الكثرة وما يُنسج من صوف وأوبار وأشعار، لا يخفى على أحد.

«الأثاث» في القرآن الكريم

وردت لفظة» الأثاث» في القرآن الكريم مرتين، إحداهما في سورة النحل، حيث قال الله تعالى:﴿ ۞ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ۞﴾[النحل:٨٠]، والثانية في سورة مريم في قوله تعالى:﴿ ۞ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا ۞﴾[مريم:٧٤]. ففي الآية الأولى يُعدِّد القرآن الكريم نعم الله تعالى التي ألهم اللهُ الإنسانَ إليها، وعلى رأسها نعمة الفكر بصنع المنازل الواقية والمرفَّهة وما يشبهها من الثياب والأثاث [٣٥]، وفي الآية الأخرى يُبيِّن القرآن الكريم زوال تلك النّعم ؛ لعدم استعمال نعمة الفكر.

«الأثاث»تعني المنسوج من الثياب:

نقل الطبريّ عن حميد بن عبد الرحمن أنّ الأثاث عبارة عن الثياب، وعن غيره أنّه عبارة عمّا يُنسج من لِباسٍ، ورُوي عن مجاهد أنّه متاع البيت، لم يسمع له بواحد [٣٦].

ويرى الطاهر بن عاشور أنّ الأثاث بفتح الهمزة اسم جمعٍ للأشياء التي تُفْرَش في البيوت من وسائد وبُسط، وزرابيّ، وكلّها تُنسج، أو تحشى بالأصواف، والأشعار، والأوبار [٣٧].

ونظرًا إلى هذا التفسير الذي أدلى به الطاهر بن عاشور تُعَدُّ كلمة» الأثاث» من الكلمات الدالّة على النسج حتّى وإن أُريد بها المتاع؛ لأنّ المتاع أعمّ من الأثاث، فيشمل الأعدال، والخُطُم، والرحائِل، وغيرها [٣٨].

ومن طريق أقوال المفسرين يتضح لنا أنّ الأثاث في الآية الكريمة عبارة عن متاع البيت من المصنوعات النسيجيّة من صوف، ووبر، وشَعر، والذي يؤيد ذلك مجيء كلمة» الأثاث» تمييزًا للأصواف، والأوبار، والأشعار، والله أعلم.

هذا وقد وردت كلمة الأثاث في موضع آخر من القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿ ۞ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا ۞﴾[مريم:٧٤].

فكلمة الأثاث في هذه الآية تعني متاع البيت، وقيل: المال، وقيل: هو ما جَدَّ من الفَرْش، وما لبس منها [٣٩].

قال الطاهر بن عاشور:» الأثاث: متاع البيت: الذي يُتزين به. وقوله تعالى: ُ على وزن فِعْل بمعنى مفعول كَذِبْح، من الرؤية، أي أحسن مَرئِيًّا، أي منظرًا وهيأة [٤٠].

وكلمة» الرئي» في هذه الآية تعني الثياب الفاخرة التي تُعرضُ للبيع حسبما نقل الأزهريّ عن بعض اللغويّين أنّه قال:الرِّئْيُ، بوزن الرِّعْي بهمزة مُسَكَّنة: الثوب الذي يُنْشر لِيُرَى حُسْنُه [٤١].

وأكَّد ابن منظور هذا المعنى فقال:» الرِّئْي على فعيل، والرئي بكسر أوله: الثوب يُنشر للبيع» [٤٢].

ومن أقوال اللغويّين يتضح لنا أنّ كلمتي» الأثاث»،» والرِّئي» من الكلمات الدالّة على صنعة النسج، فكلمة» الأثاث» هي عبارة عن الوسائد والبُسط، والزرابي، وغير ذلك ممّا يُفرش في البيوت، وهي غالبًا ما تنسج من أصواف الغنم، وأوبار الإبل، وأشعار الماعز. وكلمة» الرِّئي»: هي عبارة عمّا يُنسج من ملابس فاخرة تُعرض للبيع، وجميع هذه المنسوجات تصنع من الأصواف، والأوبار، والأشعار، وغيرها.

هكذا كان القرآن الكريم واضحًا في عرض هذه الحِرفة بأن جعلها من نعم الله تعالى الكثيرة، التي أنعم بها على عباده، ولا شكّ أنّ نعمه كثيرة، لا تُعَدُّ ولا تُحصى، ولم يَعُدّها القرآن الكريم واحدة واحدة، وإنّما ركَّز على أهمها، مِمّا يُستنتج أنّ صناعة النسج من أهم نعم الله تعالى؛ إذ إنّ القرآن الكريم يذكرها، ويهتم بها، وكيف لا، فإنّها هي التي تستر عورة الإنسان وتقيه من القرِّ والحرِّ إضافة إلى أنّها تزيد من جماليته وأناقته.

المبحث الثاني:القرآن الكريم يستوحي المعاني من ألفاظ النسج

سبق بنا التعرف على أنّ القرآن الكريم يذكر ألفاظًا، ويريد بها ما نُسج من الصوف، والوبر، والشعر، أمّا هنا فنقف على الألفاظ التي تدلّ على النسج إلّا أنّ القرآن الكريم لم يستعملها في معناها الحقيقيّ، وإنّما قصد بها المعنى الأعمق والأجمل أَلا وهو المعنى المجازيّ من تشبيه، واستعارة، ومن هذه الكلمات والتعبيرات: الغزل، والحُبك، والاتِّخاذ، وذلك على النحو الآتي:

أولًا: توظيف الغزل في تصوير نقض الإيمان بعد توثيقها:

الغزل لغةً: يُقال: غَزَلت المرأة غَزْلَها من صوفٍ، أو وبرٍ، أو قطنٍ، أو غيره، تغْزِلهُ غزلًا، واغْتزلْته، وهي تغزل، ونسوة غُزَّل، وغوازل ، والغَزْل ما تغزله، مذكر والجمع غُزول، وآلته: مِغْزَل، والجمع: مَغَازِل. قال ابن سيدة: سمَّى سيبويه ما تنسجه العنكبوت غزلًا [٤٣].

أمّا الغزل في الاصطلاح فهو عبارة عن فتل نتفٍ من الصوف، أو الوبر، أو الشعر، أو غيره؛ لتجعل خيوطًا محكمة اتّصال الأجزاء بوساطة إدارة آلة الغزل بحيث تلتفّ النتف المفتولة باليد فتصير خيطًا غليظًا طويلًا بقدر الحاجة؛ ليكون سَدىً، أو لُحْمَة للنسج [٤٤].

وهي حِرفة قديمة احترفها الإنسان؛ ليغزل ملابسه من أي نوع كان تكِنُّه من الحرِّ والقرِّ، وقد تطوَّرت هذه الحِرفة في العصر الحديث، حيث أُدخلت الآلات الميكانيكيّة لأدائها مِمّا زاد من انتاجها، وقلل من مشقّتها.

«الغزل» في القرآن الكريم:

لقد وردت كلمة» الغزل» في القرآن الكريم مرّة واحدة في سورة النحل، حيث قال تعالى:﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾[النحل:٩٢]، هذا نهي من الله تعالى للمكلفين أن يكونوا» كالتي نقضت غزلها من بعد قوّةٍ أنكاثًا»، والأنكاث جمع: نِكْث، وهو الغزل من الصوف، والشَّعَر يُبرَمُ ويُنسج أَكْسيةً وأخبيةً؛ فإذا اختلفَتْ قطِّعَتْ قِطعًا صِغارًا، ونُكِثَتْ خيوطها المبرمة وخُلطت بالصوف الجديد، ومِيشتْ به في الماء، فإذا جفَّت ضُربتْ بالمطارق حتّى تختلط بها، وغُزلتْ ثانية واستُعملت، والذي يَنْكُثها يقال له: النكّاثُ، ومن هذا: نَكث العهد، وهو نقضُهُ بعد إحكامه كما تُنْكَثُ خيط النسائج بعد إبرامها [٤٥].

والغزل: هو فتلُ نتفٍ من صوفٍ، أو شعر، أو غيره؛ لتجعل خيوطًا محكمة، كما ذكرنا في تعريفه آنفًا، وهو هنا مصدر بمعنى المفعول، أي المغزول؛ لأنّه الذي يقبل النقض، والقوة: إحكام الغزل، أي نقضه مع كونه محكم الفتل لا موجب لنقضه؛ فإنّه لو كان فتله غير محكم لكان عذْرا لنقضه [٤٦]. ونقل الطبريّ عن بعض أهل العربيّة أنّ القوّة: ما غُزِل على طاقة واحدة، ولم يثنَ [٤٧]. قال الطاهر بن عاشور:» إنّ المراد بصيغة الجمع أنّ ما كان غزلًا واحدًا جعلتْهُ منقوضًا، أي خيوطًا عديدة، وذلك بأن صيّرته إلى الحالة التي كان عليها قبل الغزل، وهي كونه خيوطًا ذات عدد» [٤٨].

التصوير الفنيّ في ترشيح المعنى المجازيّ للفظة»الغزل»:

نلحظ دِقَّة التصوير الفنيّ في هذه الآية، حيث شَبَّه القرآن الكريم الشخص الذي يحلف ويعاهد، ويبرم عهده، ثمّ ينقضه بالمرأة التي تغزل غزلها، وتفتله فتلًا محكمًا ثمّ تحلُّه، وقصة هذه المرأة أنّها كانت خرقاء مختلة العقل، ولها جوارٍ، وقد اتّخذت مِغْزَلًا قد ذراع وصِنّارةً مثل أصبع، وَفَلْكَةً عظيمة على قدر ذلك، فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة إلى الظهر، ثُمّ تأمرهن فينقضن ما غزلته، وهكذا تفعل كلّ يوم، فكان حالها إفساد ما كان نافعًا محكمًا من عملها، وإرجاعه إلى عدم الصلاح، فنهوا عن أن يكون حالهم كحالها في نقضهم عهد الله، وهو عهد الإيمان بالرجوع إلى الكفر، وأعمال الجاهليّة، والتشبيه بليغ، ووجه الشبه الرجوع إلى الفساد بعد التلبّس بالصلاح [٤٩].

فالقارئ لهذه الآية أمام تصوير فني بليغ، وذلك ليتحوّل المعنى الذهني وهو نقض العهد بعد الإبرام،

إلى مشاهد وصور حقيقيّة، فإنّ المشهد يذكّره أنّه هناك امرأة تنسج الخيوط وتحيكها، وحينما تتقوّى هذه الخيوط وتبرم، تبدأ هذه المرأة في فكّ هذه الخيوط، ولا شكَّ أنّ هذا العمل لا يرتكبه إلّا مَن كان في عقله شيء.

وإذا دقّقنا في هذه العبارة نجد أنّ الموقف البيانيّ للآية يوضح أنّ صناعة النسج من الأعمال المحمودة، ولها جانب إيجابي ملموس؛ ولهذا شُبِّه اتّخاذ العهد بنسج الخيوط، وإبرامه بإبرام الخيوط، ولا شكَّ أنّ إبرام العهد من الأعمال المحمودة.

هكذا يضفي التشبيه القرآنيّ على صناعة النسج من أهمية ودور إيجابي في ضوء هذه الآية الكريمة؛ لما لها من حاجة ماسة في حياة المجتمع إليها بأسلوب رائع وبديع.

ثانيًا: توظيف «الحُبك» في تصوير النسج الكونيّ

معنى الحَبْك في اللغة: الشَّدُّ والنسج، يقال: حَبَكَ الثوبَ: أجادَ نسجه، وَحَبَكَ الحبلَ: شَدَّ فتله. وحبَكَ العقدة: قوّى عقدها، ووثقها [٥٠].

الحُبُكُ: تعني طرائق النُجوم، واحدتها حَبِيكَة، وحِباك، والمَحْبُوك ما أُجيد عمله، والمَحْبُوك المُحْكم الخلق من حَبَكْت الثوب؛ إذا أحكمت نسجه [٥١].

قال الفيروز آباديّ:» الحَبْكُ هو الشَّدُّ والإحكام، وتحسين أثر الصنعة في الثوب، يَحْبُكُهُ، ويَحْبِكُهُ كاحْتَبَكَهُ، فهو حَبِيكٌ، ومَحْبُوكٌ» [٥٢]. وبهذا العرض يتّضح لنا أنّ اللغويّين ألمحوا معنى النسج في كلمة» الحَبك» التي تصبح بهذا المعنى في القرآن الكريم، معجزة قرآنيّة عصريّة، تدعو الناس إلى الإيمان به.

المعنى القرآنيّ للحبك:

لقد وردت لفظة» الحُبُك» بضمتين في القرآن الكريم مرّة واحدة في سورة الذاريات، في قوله تعالى: ﴿ أُ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴾[الذاريات:٧].

فالحُبُك الطرائق التي تجري على الشيء كالطرائق التي ترى في السماء، والحبك أثر الصنعة في الشيء واستوائه [٥٣]. نُقِل عن ابن عباس» رضي الله عنهما»، وقتادة، ومجاهد أنّ» الحبك»: الخَلْق الحسن المستوي، وقيل: حبكها مثل حبك الرمل، ومثل حبك الدروع، ومثل حبك الماء؛ إذا ضربته الريح، فنسجته طرائق، وقال ابن الأعرابيّ: كُلّ شيء أحكمته وأحسنت عمله فقد أحتبكته [٥٤].

ويُلمح معنى النسج في رواية عن عكرمة أنّه قال: ذات الخلق الحسن، ألم تر إلى النسّاج إذا نسج الثوب، قال: ما أحسن ما حبكه[٥٥].

وقد أشار إلى هذا المعنى كلّ من ابن عطية [٥٦]، والبغويّ [٥٧]، والزمخشريّ [٥٨]، والقرطبيّ [٥٩].

النسج الكونيّ بين القرآن الكريم والعلم الحديث:

في غضون أقوال المفسرين المذكورة آنفًا يمكننا أن نلمح في لفظة» الحبك» معنى النسج، وإن كان المفسرون يقصدون به الحسن والبهاء والزينة.

يؤكد هذا ما بيّنه التطوّر العلميّ في العصر الحديث من اكتشاف النسج الكونيّ، وأنّ خيوط هذا النسج هي النجوم، من طريق قول الحسن: » حُبِكَت بالنجوم «[٦٠].

يُؤيد ذلك ما صرّح به الطاهر بن عاشور في أنّ معنى الحُبك هو إجادة النسج وإتقان الصنع، فيجوز أن يكون المرد بحُبك السماء نُجومُها؛ لأنّها تشبه الطرائق الموشاة في الثوب المحبوك المتقن [٦١].

أمّا في العصر الحديث فقد أطلق علماء الفلك مصطلح» النسج الكونيّ» على بينية الكون؛ لأنّهم رأوا المجرّات تصطف على شكل خيوط دقيقة؛ ذلك أنّهم اكتشفوا بوساطة جهاز » سوبر كومبيوتر» الذي قام بتصنيعه علماء من بريطانيا، وألمانيا، وكندا، والولايات المتحدة الأمريكيّة، منذ مُدة قريبة، وهي أضخم عملية حاسوبيّة لرسم صورة مصغرة للكون، وتمّ ادخال عشرة آلاف مليون معلومة في» السوبر كومبيوتر»، حول عدد ضخم من المجرات يزيد على عشرين مليون مجرة، وعلى الرغم من أنّ السرعة الفائقة لهذا الجهاز إلّا أنّه بقي يعمل في معالجة هذه البيانات مدة(٢٨) يومًا حتّى تمكّن من رسم صورة مصغّرة للكونfilaments، والنسج الكونيّ يتألف من خيوط دقيقة يُسميها العلماء، ومادة هذه الخيوط المجرات، واستعمل علماء الفلك لفظة للتعبير عن النسج الكونيّ [٦٢].((weave)وهي التي تعني(حبك)

فإذا قمنا بمقارنة هذه الحقائق الكونيّة - كما صوّرها جهاز سوبر كومبيوتر- بما جاء به القرآن الكريم من كلمة» الحبك» التي تعني النسج في ضوء أقوال اللغويّين والمفسرين، ظهر لنا أنّ القرآن الكريم سابق لهذه الحقيقة العلميّة للعلم الحديث بأربعة عشر قرنًا.

يتضح لنا أنّ القرآن الكريم اختار لفظة» الحبك» التي تدلّ على النسج، ثمّ وظّفَها للنسج الكونيّ الذي لم يكتشف إلّا في العصر الحديث، وهو عبارة عن تجمعات النجوم والمجرّات بشكل النسج العنكبوتيّ وبنظام دقيق.

ثالثًا: توظيف»النسج العنكبوتيّ» في ضعف الكفّار:

لقد ضرب القرآن الكريم مثلًا لاتخاذ الكفار أولياء من غير الله تعالى ببيت العنكبوت التي تنسجها في الهواء، فإنّ هذه البيوت العنكبوتيّة أوهن البيوت، لا ينبغي الاعتماد عليها كذلك هؤلاء الأولياء الذين اتّخذهم الكفّار أربابًا من غير الله تعالى أمثال البيوت التي لا يعتمد عليها، ولم يستعمل القرآن الكريم لفظة» النسج» وإنّما ساق تعبيرًا آخر، وهو» الاتّخاذ» يريد به نسج العنكبوت بيتًا لها، في تأويل قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت:٤١]. فقوله تعالى:﴿ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ﴾، أي: نسجت بيتًا، وقبل أن نقوم بدراسة النسج العنكبوتيّ ينبغي لنا أن نشرح دلالة» الاتّخاذ» في

اللغة والقرآن الكريم.

معنى الاتّخاذ في اللغة:

الاتّخاذ: افتعال من الأخذ، والأخذ هو خلاف العطاء، وهو أيضًا التناول، يقال: أخذت الشيء آخُذُه أَخْذًا تناولته [٦٣].

والاتّخاذ جعل شيء لفائدة الجاعل؛ لأنّ المتّخذ يأخذ الشيء الذي يصطفيه [٦٤]. وصيغة الافتعال فيه دالّة على التكلّف للمبالغة في تحصيل الفعل. قال أهل اللغة: قلبت الهمزة الأصليّة تاء لقصد الإدغام تخفيفًا، ولَيَّنوا الهمزة ثمّ اعتبروا التاء كالأصلية فربّما قالوا: تخذ بمعنى اتَّخذ [٦٥].

وجعل الراغب الأصبهانيّ الاتّخاذ مرادفًا للجعل، فقال:» الأخذ حوز الشيء، وتحصيله، والاتّخاذ افتعال منه، يعدّى إلى مفعولين، ويجري مجرى الجعل» [٦٦].

وعلى هذا يتقلب معنى الاتّخاذ، الإعداد، والاصطناع. والاتّخاذ: يقال في الغالب لما يختار، ويرتضي، تقول: اتّخذت فلانًا خليلًا [٦٧].

معنى»الاتّخاذ» في القرآن الكريم:

ذكر ابن الجوزيّ نقلًا عن بعض المفسرين أنّ معنى الاتّخاذ في القرآن الكريم جاء على عشرة أوجه، وهي: الاختيار، والصياغة، والسلوك، والتسمية، والنسج، والعبادة، والجعل، والبناء، والرضا، والعصر [٦٨].

ومن بين هذه المعاني الذي يهمنا المعنى الخامس، وهو النسج، في قوله تعالى: ﴿أَمَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت:٤١].

فالاتّخاذ الأول في الآية بمعنى الجعل، والثاني بمعنى النسج، ومعنى الآية أنّه لما بيّنت لهم الأشباه والأمثال من الأمم التي اتّخذت الأصنام من دون الله فما أغنت عنهم أصنامهم لما جاءهم عذاب الله، أعقب ذلك بضرب المثل لحال جميع أولئك وحال ماثلهم من مشركي قريش في اتّخاذهم ما يحسبونه دافعًا عنهم، وهو أضعف من أن يدفع عن نفسه، بحال العنكبوت تتخذ لنفسها بيتًا تحسب أنّها تعتصم به من المعتدي عليها فإذا هو لا يصمد ولا يثبت لأضعف تحريك فيسقط، ويتمزق [٦٩].

التصوير الفنيّ في ترشيح المعنى المجازيّ

ممّا سبق اتّضح لنا أنّ القرآن الكريم لا يهدف بهذه الآية إلى بيان النسج العنكبوتيّ بالذات، وإنّما أراد أن يُبَيِّنَ للناس ضعف الكفّار، ووهنهم، فاستعار تعبيرًا مألوفًا في أوساط الناس، وهو أوهن البيوت بيت تنسجه العنكبوت، فشبه ضعف الكفّار بضعف هذا البيت، ليستقر في الأذهان، ويصبح التعبير بليغًا، ودقيقًا.

فجاء تشبيه القرآن الكريم للكافرين بالعنكبوت في

الغرور بما أعدوه، وتشبيه أوليائهم ببيت العنكبوت في عدم الغناء عمّن اتّخذوها وقت الحاجة إليها، وتزول بأقل تحريك، وأقصى ما ينتفعون به منها نفع ضعيف وهو السكنى فيها وتوهم أنّها تدفع عنهم، كما ينتفع المشركون بأوهامهم في أصنامهم. وهو تمثيل بديع من مبتكرات القرآن الكريم [٧٠].

والجملة تجري مجرى المثل، يُستفاد منها أنّ الأديان التي يعبد أهلها غير الله هي أحقر الديانات، وأبعدها عن الخير والرشاد، وإن كانت متفاوتة فيما يعرض لتلك العبادات من الضلالات، مثلما تتفاوت بيوت العنكبوت في غلظها بحسب تفاوت الدويبات التي تنسجها في القوة والضعف، ولكنهم لا يعلمون ذلك، مع أنّ أهمية بيت العنكبوت لا يجهلها أحد [٧١].

هكذا صوّر القرآن الكريم بطريقة فنيّة بديعة ضعف الكفّار بآلة دقيقة. ومَن ينظر في النسج العنكبوتيّ، ويدرك ضعف هذا النسج، لا يصعب عليه فهم ضعف حال الكفّار، وهذا التوصيف انفرد به القرآن الكريم، ولا يمكن أن يخطر على فكر أحد من البشر.

وفي هذا المقام من الأنسب أن نلقي نظرة على تلك الحقائق العلميّة الثابتة عن العنكبوت ونسجها، والتي ذكرها القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرنًا، ولم تكتشف إلّا مؤخرًا.

النسج العنكبوتيّ بين القرآن الكريم والعلم الحديث

من المعروف أنّ العصر الحديث عصر التقنية، وعصر البحث والتحقيق، وعصر الاكتشاف والتجربة في جميع المجالات، ومن هذا ما لمسناه في التقدّم الذي حقّقه علماء البايلوجيا في العصر الحديث من طريق التجارب الناجحة التي أجروها على العناكب التي أثبتوا فيها أنّ إناث العناكب هي التي تقوم بالغزل والنسج، والذكر أخرق ينقض ولا ينسج [٧٢]، وهذه الحقيقة ذكرها القرآن الكريم، حينما أتى بصيغة المؤنث في قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ ، وبهذا يكون اثبات القرآن الكريم سابقًا لما اكتشفه العلم الحديث مؤخرًا.

أمّا ما ذهب إليه العلم الحديث من أنّ بيت العنكبوت منسوج من أقوى الخيوط التي تستطيع مقاومة الرياح العاتية، وأنّ هذه الخيوط دقيقة النسج يستطيع العنكبوت من طريقها الامساك بأكبر الحشرات من غير أن تتخرّق؛ إذ يبلغ سمك الخيط الواحد منها في المتوسط واحدًا من المليون من البوصة المربعة، أو جزءًا من أربعة آلاف جزء من سمك الشعرة العادية في رأس الإنسان، ويتمدد إلى خمسة أضعاف طوله قبل أن ينقطع، وهو أقوى من الفولاذ المعدنيّ العاديّ بعشرين مرّة، وأقوى من الألمنيوم بتسع وعشرين مرّة، ولا يفوقه قوّة سوى الكوارتز المصهور، وتبلغ قوّة احتماله ثلاثمائة ألف رطل للبوصة المربعة؛ فإذا قُدِّر وجود حبل سميك بحجم إصبع الإبهام من خيوط العنكبوت، فَيُمْكِنه حمل طائرة ركاب كبيرة بكُلّ سهولة؛

لذلك أطلق عليه العلماء اسم» الفولاذ الحيويّ»، أو» الفولاذ البيولوجي»، أو» البيو صلب» [٧٣].

وهنا نسأل هؤلاء العلماء، ونقول: هل كان القرآن الكريم حين أخبر أنّ بيت العنكبوت أوهن البيوت على الإطلاق يجهل هذه الحقائق، كما يدعي أعداء القرآن؟

وللإجابة عن ذلك ينبغي الإشارة إلى أنّ الآية المباركة نصّت على وهن بيت العنكبوت، ولم تنصّ على وهن الخيط الذي نُسج منه، فلم يقل البارئ تعالى:» إنّ أوهن الخيوط لخيط العنكبوت»، وهذه إشارة دقيقة، لا تخفى إلّا على الجاهلين هذا أوّلًا.

وثانيًا: أنّ الخيوط غير البيوت، وقوّة الخيوط لا تلزم قوّة البيوت، كما لا يلزم وهن البيوت وهن الخيوط أيضًا، فقد تكون الخيوط قويّة، كما يثبت العلم الحديث، ولا يكون البيت قويًّا، فالخيوط في مفصل عن البيت قويّة لا شكّ فيها، وأمّا نسج البيوت قد يكون ضعيفًا لا يقي من الحر والبرد، ولا من الرياح العاتية، وهذه هي مقصدية القرآن الكريم. قال الجاحظ:» يريد ذكره بالوهن هو، ولم يرد إحكام الصنعة في الرقة والصفافة واستواء الرقعة وطول البقاء؛ إذا كان لا يعمل فيه تعاور الأيام وسلم من جنايات الأيدي»[٧٤].

فمن هنا نلاحظ دقّة التعبير القرآنيّ الذي آثر عبارة» أوهن البيوت» على» أوهن الخيوط» ليصوِّر لنا أنّ الكفار قد تكون لهم قوّة في مفصل من عقيدة تنسجها أفكارهم الزائغة، وأمّ البيت الفكريّ المنسوج فأوهن البيوت، وهو تصوير رائع ودقيق.

إضافة إلى ذلك أرى أنّ أرباب العلم الحديث يبالغون نوعًا ما في بيان هذه الخيوط من حيث القوّة، التي ذكرها عبد الدائم الكحيل في أنّها تحمل طائرة، وما إلى ذلك من أمور لا يصدقها العقل.

وأمّا السؤال في أنّه هل كان الكفّار يجهلون أيام نزول القرآن الكريم أن بيت العنكبوت هو أوهن البيوت، أم كانوا يعلمون؟ وإذا كانوا يعلمون، فَلِمَ نفى سبحانه عنهم ذلك؟

فقد أجاب عنه الزمخشريّ بقوله:» معناه لو كانوا يعلمون أنّ هذا مثلهم وأنّ أمر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن. ووجه آخر وهو أنّ إذا صحّ تشبيه ما اعتمدوه في دينهم ببيت العنكبوت وقد صحّ أنّ أوهن البيوت بيت العنكبوت، فقد تبيَّن أنّ دينهم أوهن الأديان لو كانوا يعلمون. أو أخرج الكلام بعد تصحيح التشبيه مخرج المجاز، فكأنّه قال: إنّ أوهن ما يعتمد عليه في الدين عبادة الأوثان لو كانوا يعلمون» [٧٥].

فالكفّار كانوا يعلمون أوهنية البيوت إلّا أنّهم لم يدركوا ما هم فيه من عقائد باطلة مثل هذه البيوت عنادًا؛ ولهذا أنزلهم القرآن مكان الجاحد المنكر فصحّ استعمال أسلوب التوكيد الإنكاريّ بـ»إنّ» واللام، والجملة الأسميّة.

خلاصة القول هي أنّ كلمة» الاتّخاذ» في أحد معانيها النسج، وعلى هذا فإنّ نسبة الاتّخاذ إلى

العنكبوت مجاز عقليّ، والتعبير ليس مباشرًا بأن يقصد نسج العنكبوت حقيقة، وإنّما هو مثلٌ ضُرِب لضعف الكفّار عقيدة وفكرًا.

وبهذا الخروج من المحتوى اللغويّ إلى المعنى الأبعد غير المباشر قد جعل التعبير رائعًا وجميلًا، يتجلّى فيه إعجاز القرآن الكريم وفصاحته.

الخاتمة:

من أبرز النتائج التي توصّلتْ إليها الدراسة هي :

١- إنّ القرآن الكريم كما يضمُّ ألفاظًا عقديّة وشرعيّة، وسلوكيّة كذلك يضمُّ ألفاظًا دنيويّة ذات سمات حضاريّة، وثقافيّة، وعلميّة تؤكد على أنّ الإسلام هو عبارة عن عقائد، وسلوك، وثقافة، وحضارة، وتطوّر، فهو دين ودنيا يحرص على سعادة البشريّة جمعاء.

٢- إنّ القرآن الكريم يستقي كثيرًا من المعاني من واقع المجتمع الإنسانيّ، ويعتني بأساليب الحضارة ورقيّها معتمدًا على تقديم الفائدة لعامّة البشر، ومن هذا المنطلق احتوى على مجموعة من الألفاظ التي تدلُّ على شتى الحِرف التي تخدم المجتمع البشريّ، ومنها حِرفة النسج.

٣- وردت حِرفة» النسج» في القرآن الكريم في سياقات عديدة من الموقف الكلاميّ بدلالات مباشرة، وغير مباشرة ترشح منها صور فنيّة بديعة تعجب السامع، وتبهر الناظر.

٤- إنّ عرض القرآن الكريم للحِرف ومنها حِرفة» النسج» جاء من منطلقين، وهي التي تشكّل ظاهرتين من الاستعمال، أولهما: توظيفها لنفسها. وثانيها: توظيفها لخدمة التصوير الفنيّ لمواقف بيانيّة بديعة تترك الإنسان عاجزًا ومندهشًا أمامها، كما نلاحظ في استعارة نقض المرأة لغزلها لنقض الأيمان، وغير ذلك من تصاوير ذات الحركة والجمال.

٥- وبما أنّ القرآن الكريم صورة تعكس المجتمع العربيّ فقد أكّد الاستعمال القرآنيّ لألفاظ حِرفة النسج أنّ المجتمع العربيّ القديم لم يكن خاليًا منها، وإن كانت النسبة ضئيلة، وحينما جاء القرآن الكريم أحدث فيهم انقلابًا ملموسًا فنهضوا بها.

٦- كانت حِرفة، أو صناعة» النسج» من الحِرف البالغة الأهمية في حياة الأمم ومنها العرب، وحينما جاء القرآن الكريم بسط هذه الحِرفة بكلّ تفاصيلها، من بيان أهميتها في ستر العورة، والحماية من الحرّ والقرّ إضافة إلى الناحية الجماليّة، كما استوحى منها معاني مجازيّة.

٧- ومن المعروف أنّه ليست الضرورة هي كلّ شيء، بل للزينة والجمال مكان ملموس في حياتنا اليوميّة، ومن هذا المنطلق نلاحظ أنّ القرآن الكريم، كما يذكر الحِرف والصناعات المتعلقة بضروريات حياتنا كذلك يعرض للفنون التي تشبع الرغبات الإنسانيّة التائقة إلى المظاهر الجماليّة بأسلوب شيق وجميل.

الهوامش

١- صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب: ١٨، الحديث(٥٨٧٠): أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاريّ(ت٢٥٦هـ)، مطبوعة جمعية المكْنَز الإسلاميّ، القاهرة، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م:١٢٠١/٣.

٢- انظر: الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بن عليّ بن حجر(ت٨٥٢هـ)، تحقيق: عليّ محمد البجاريّ، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م: ١٤١/٣.

٣- انظر: المسالك والممالك: أبو القاسم عبيد الله بن خرداذبة، تحقيق: ميخائيل دوغويه، المكتبة الجغرافيّة العربيّة، ٦ ليدن، مطبعة بريل، ١٨٩٨م: ١٢٢.

٤- معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ= ١٩٧٩م:٣٢٥/٥(نسج).

٥-لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور(ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت: ٣٧٦/١٤(نسج).

٦- انظر: لسان العرب:٣٧٦/١٤(نسج).

٧- انظر: لسان العرب:٣٧٧/١٤(نسج).

٨- معجم مقاييس اللغة:١٢١/٢(حوك).

٩- لسان العرب:٤١٨/١٠(حيك).

١٠-مفردات ألفاظ القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهانيّ(ت٥٠٢هـ):٣٧٥.

١١- لسان العرب:٣٢٦/٦(فرش).

١٢- انظر: لسان العرب:٣٢٨/٦(فرش).

١٣- أساس البلاغة: جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشريّ(ت٥٣٨هـ)، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م:٤٦٩(فرش).

١٤- انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار الجنكيّ الشنقيطيّ، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م:١٩٨/١.

١٥- انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطَّبريّ، (ت٣١٠هـ) ، تحقيق: محمود أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م :١٧٨/١٢-١٨١.

١٦- انظر: مفردات ألفاظ القرآن الكريم: الراغب الأَصفهانيّ (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوديّ، ط٤، ١٤٢هـ ق= ١٣٨٣هـ ش، مطبعة كيميا، قم ، منشورات ذوي القربى: ٣٧٦، والتحرير والتنوير: محمد

الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م: ١٢٥/٨-١٢٦.

١٧- التبيان في تفسير القرآن: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسيّ(ت٤٦٠هـ)، تحقيق: أحمد حبيب قصير العامليّ، مكتب الاعلام الإسلاميّ،ط١، ١٣٠٩هـ.ق:٢٩٧/٤.

١٨- انظر: الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشريّ، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٨٣م: ٦٩/٢.

١٩- انظر: الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاريّ القرطبيّ(ت٦٧١هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاريّ، دار الكتب، الرياض، السعودية، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م:١١٢/٧.

٢٠- انظر: التحرير والتنوير: ١٢٥/٨-١٢٦.

٢١- الصحاح(تاج اللغة وصحاح العربيّة): إسماعيل بن حمّاد الجوهريّ(ت٣٩٣هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٩٠م: ٥٥/٢.

٢٢- انظر: الصحاح(تاج اللغة وصحاح العربيّة): ٥٥/٢، وأساس البلاغة:١٩٠، ولسان العرب:٧٦/١(دفأ).

٢٣- انظر: تفسير القرآن العظيم المعروف بتفسير الطبريّ: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقيّ(ت٧٧٤هـ)، دار الجيل، بيروت، وطبعة دار طيبة للنشر والتوزيع، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط٢ ، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٣م: ٥٥٨/٤.

٢٤- انظر: التبيان في تفسير القرآن: ٣٦١/٦، وأساس البلاغة: ١٩٠، ومجمع البيان في تفسير القرآن: أبو عليّ الفضل بن الحسن الطبرسيّ(ت٥٦٠هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م:٥٣٩/٦، والميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائيّ، منشورات مؤسسة الأَعلميّ، بيروت–لبنان، ط١، ١٤١٧ه=١٩٩٧م:٢١٠/١٢.

٢٥- انظر: تفسير ابن كثير: ١٦٨/١٧.

٢٦- الكشّاف: ٥٥٥/٢.

٢٧- الجامع لأحكام القرآن: ٦٩/١٠.

٢٨- التحرير والتنوير: ١٠٤/١٤-١٠٥.

٢٩- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن:٣٣٢/٢.

٣٠- البحر المحيط : محمد بن يوسف الشهير بأَبي حيَّان الأَندلسيّ (ت٧٤٥هـ)، تحقيق: عادل أَحمد عبد

الموجود، وعليّ محمود معوض، وزكريا عبد المجيد النُّوفي، وأَحمد النَّجوليّ الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ١ ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م: ٤١٦/٥.

٣١- التحرير والتنوير: ١٠٤/١٤-١٠٥.

٣٢- مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ٩.

٣٣- انظر: لسان العرب: ١١١/٢(أثث).

٣٤- انظر: لسان العرب: ١١٠/٢(أثث).

٣٥- انظر: التحرير والتنوير: ١٣٦/١٤.

٣٦- انظر: تفسير ابن كثير: ٢٦٧/١٧-٢٦٩.

٣٧- انظر: التحرير والتنوير: ١٣٩/١٤.

٣٨- انظر: التحرير والتنوير: ١٣٩/١٤.

٣٩- انظر: تفسير ابن كثير: ٢٤١/١٨.

٤٠- التحرير والتنوير: ١٥٤/١٦.

٤١- التحرير تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهريّ(ت٣٧٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، ١٩٦٤م: ٢٣٤/١٥.

٤٢- لسان العرب: ٢٩٨/١٤(رأى).

٤٣- انظر: معجم مقاييس اللغة: أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا(ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م : ٤٢٢/٤(غزل)، ولسان العرب: ٤٩١/١١-٤٩٢(غزل).

٤٤- انظر: التحرير والتنوير: ٢٦٥/١٤.

٤٥- انظر: تهذيب اللغة: ١٠٤/١٠.

٤٦- انظر: التحرير والتنوير: ٢٦٥/١٤.

٤٧- انظر: تفسير الطبريّ:٢٨٣/١٧.

٤٨- التحرير والتنوير: ٢٦٥/١٤.

٤٩- انظر: تفسير الطبريّ: ٢٨٥/١٧، والتحرير والتنوير: ٢٦٤/١٤.

٥٠- انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربيّة، دار الدعوة، استنبول، ١٩٨٩م: ١٥٣.

٥١- انظر: لسان العرب:٤٠٨/١٠ (حبك).

٥٢- انظر: القاموس المحيط: الفيروز آباديّ، دار الجيل، بيروت، ٢٠٠٥م: ٢٥٩.

٥٣- انظر: التبيان في تفسير القرآن٣٨٠/٩.

٥٤- انظر: تفسير الطبريّ:٣٩٥/٢٢-٣٩٧، ومعالم التنزيل: أبو محمد الحسين بن مسعود البغويّ(ت٥١٦هـ)، تحقيق: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م: ٣٧١/٧.

٥٥- انظر: تفسير الطبريّ:٣٩٥/٢٢-٣٩٧.

٥٦- انظر: المحرر والوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسيّ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م: ١٧٢/٥.

٥٧- انظر: معالم التنزيل: ٣٧١/٧.

٥٨- انظر: الكشّاف: ٣٩٩/٣.

٥٩- انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣١/١٧.

٦٠- انظر: تفسير الطبريّ:٣٩٥/٢٢-٣٩٧.

٦١- انظر: التحرير والتنوير:٣٤١/١٤.

٦٢- انظر: مقال(النسيج الكونيّ): عبد الدائم الكحيل، رؤية علميّة قرآنيّة على موقع النت.

٦٣- انظر: لسان العرب:٤٧٢/٣(أخذ).

٦٤- انظر: التحرير والتنوير:٢٩٩/١١.

٦٥- انظر: لسان العرب: ٤٧٤/٣(أخذ).

٦٦- انظر: مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ١٢.

٦٧- انظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزيّ، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م: ١٦٠.

٦٨- انظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: ١٦٠-١٦١.

٦٩- انظر: التحرير والتنوير: ٢٥٢/٢٠.

٧٠- انظر: التبيان في تفسير القرآن: ٢١١/٨، والتحرير والتنوير: ٢٥٢/٢٠.

٧١- انظر: التحرير والتنوير:٢٠/٢٥٣.

٧٢- انظر: التحرير والتنوير: ٢٠/٢٥٢-٢٥٣.

٧٣- انظر: مقال(النسيج الكونيّ): عبد الدائم الكحيل، رؤية علميّة قرآنيّة على موقع النت.

٧٤- كتاب الحيوان: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(ت٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط٣، ١٣٨٨هـ-١٩٦٩م: ٥/٤١١.

٧٥-الكشّاف: ٤/٤٥٨.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم

٢- أساس البلاغة: جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشريّ(ت٥٣٨هـ)، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م.

٣- الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بن عليّ بن حجر(ت٨٥٢هـ)، تحقيق: عليّ محمد البجاريّ، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ=١٩٩٢م.

٤- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار الجنكيّ الشنقيطيّ، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ=١٩٩٥م.

٥- البحر المحيط : محمد بن يوسف الشهير بأَبي حيَّان الأَندلسيّ (ت٧٤٥هـ)، تحقيق: عادل أَحمد عبد الموجود، وعليّ محمود معوض، وزكريا عبد المجيد النُّوفي، وأَحمد النَّجوليّ الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ١ ، ١٤٢٢هـ=٢٠٠١م.

٦- التبيان في تفسير القرآن: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسيّ(ت٤٦٠هـ)، تحقيق: أحمد حبيب قصير العامليّ، مكتب الاعلام الإسلاميّ،ط١، ١٣٠٩هـ.ق.

٧- التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م.

٨- تفسير القرآن العظيم المعروف بتفسير الطبريّ: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقيّ(ت٧٧٤هـ)، دار الجيل، بيروت، وطبعة دار طيبة للنشر والتوزيع، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط٢ ، ١٤٢٠هـ=٢٠٠٣م.

٩- تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهريّ(ت٣٧٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، ١٩٦٤م.

١٠- جامع البيان في تأويل القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطَّبريّ، (ت٣١٠هـ) ، تحقيق: محمود أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م.

١١- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاريّ القرطبيّ(ت٦٧١هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاريّ، دار الكتب، الرياض، السعودية، ١٤٢٣هـ=٢٠٠٣م.

١٢- الصحاح(تاج اللغة وصحاح العربيّة): إسماعيل بن حمّاد الجوهريّ(ت٣٩٣هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٩٠م.

١٣- صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب: ١٨، الحديث(٥٨٧٠): أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاريّ(ت٢٥٦هـ)، مطبوعة جمعية المكْنَز الإسلاميّ، القاهرة، ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م.

١٤- القاموس المحيط: الفيروز آباديّ، دار الجيل، بيروت، ٢٠٠٥م.
١٥- كتاب الحيوان: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(ت٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط٣، ١٣٨٨هـ=١٩٦٩م.
١٦- الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشريّ، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.
١٧- لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور(ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت.
١٨- مجمع البيان في تفسير القرآن: أبو عليّ الفضل بن الحسن الطبرسيّ(ت٥٦٠هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.
١٩- المحرر والوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلُسيّ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ=١٩٩٣م.
٢٠- المسالك والممالك: أبو القاسم عبيد الله بن خرداذبة، تحقيق: ميخائيل دوغويه، المكتبة الجغرافيّة العربيّة، ٦ ليدن، مطبعة بريل، ١٨٩٨.
٢١- معالم التنزيل: أبو محمد الحسين بن مسعود البغويّ(ت٥١٦هـ)، تحقيق: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧هـ=١٩٩٧م.
٢٢- معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ= ١٩٧٩م.
٢٣- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربيّة، دار الدعوة، استنبول، ١٩٨٩م.
٢٤- مفردات ألفاظ القرآن الكريم: الراغب الأَصفهانيّ (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داووديّ، ط٤، ١٤٢هـ ق= ١٣٨٣هـ ش، مطبعة كيميا، قم ، منشورات ذوي القربى.
٢٥- الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائيّ، منشورات مؤسسة الأَعلميّ، بيروت– لبنان، ط١، ١٤١٧ه=١٩٩٧م.
٢٦- مقال(النسيج الكونيّ): عبد الدائم الكحيل، رؤية علميّة قرآنيّة على موقع النت.
٢٧- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزيّ، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م.

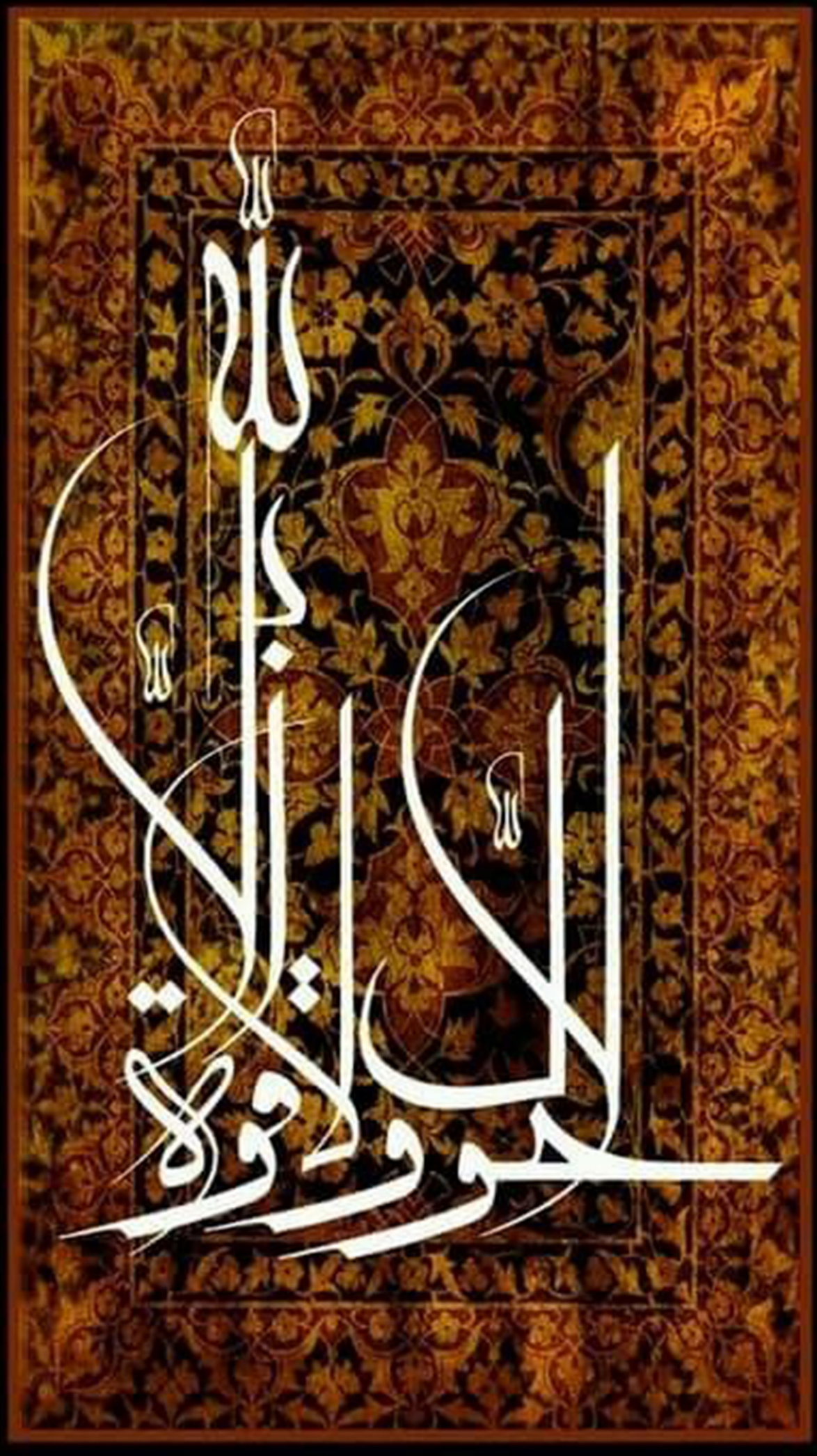
لا حول ولا قوة إلا بالله